اتصاف المولى عز وجل بالغنى

انتقل بعد ذلك إلى صفات ذاتية وفعلية. وهو الغني بذاته سبحانه جل ثناؤه تعالى شانه (الغني بذاته) أي: أن وصف الغنى له وصف ذاتي، أثبته الله -تعالى- فقال تعالى: { فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } أي: استغنى عنهم، وعن إيمانهم فهو غني حميد، وقال تعالى: { وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } وصف نفسه بأنه هو الغني، وأن خلقه هم الفقراء، وقال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } أي: أنه غني عن عبادتكم، وغني عن إيمانكم، وغني عن أعمالكم، لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين. وجاء في حديث أبي ذر القدسي: أن الله -تعالى- يقول: { يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني } يعني: أن أعمالكم لا تزيد ولا تنقص في ذات الله -تعالى- ولا في ملكه، وفي هذا الحديث يقول: { يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر } يعني: أنه –سبحانه- خزائنه ملأى. ويقول أيضا صلى الله عليه وسلم في الحديث: { يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه } يعني: أنه –سبحانه- يعطي كما يشاء، ولما وصفه اليهود بقولهم: { يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } يعني: عن العطاء؛ مغلولة عن العطاء فهو بخيل؛ { غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } مبسوطتان بالعطاء ينفق كيف يشاء، عطاؤه كلام، وعذابه كلام { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } فالله - سبحانه وتعالى - هو الغني بذاته، والمخلوقون فقراء إليه. فالله -تعالى- موصوف بأنه له الغنى الذاتي، والمخلوق له الفقر الذاتي. يعني: إن المخلوق فقير بالذات، ولو ملك ما يملك فإنه يعتبر فقيرا؛ لأنه سوف يذهب أو يُذهَب به، ويفارق ذلك الملك وذلك المال ونحوه، في بيت منسوب لشيخ الإسلام - رحمه الله - يقول فيه: فالفقر لي وصف ذات دائما أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي (فالفقر لي) يعني: أنا الإنسان. فالفقر لي وصف ذات دائما أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي وصف ذات لله - سبحانه وتعالى - فهذا معنى قول الناظم: (وهو الغني بذاته سبحانه). يعني: موصوف بالغنى غنى بالذات (جل ثناؤه تعالى شأنه). جل ثناؤه يعني: عظم الثناء عليه. تعالى شأنه أي: تعالى وتقدس شأنه. وكل شيء رزقه عليه وكلنا مفتقر إليه وما من دابة. أي: في الأرض ولا في السماء. { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا } ويقول تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ } فكل شيء رزقه على الله تعالى، يسر الله -تعالى- لها الأرزاق، وسهل لها الحصول على رزقها، وخلق لها قوتها، وجعل لكل شيء قوتا يناسبه، فلا تكاد تجد دابة ميتة من الجوع: لا طيرا، ولا حشرة، ولا وحشا، ولا غير ذلك. بل جعل الله تعالى لها من الرزق ما تقتات به، وما تعيش به في هذه الحياة الدنيا، (فكل شيء رزقه عليه، وكلنا مفتقر إليه) أي: كلنا فقراء إلى الله تعالى، كما في الآيات التي ذكرنا: { أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ } { وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ } .